أين المليونية.. هل دم السوريين ماء يا طليعة مصر؟!

الكاتب : أمير سعيد

التاريخ : 15 يناير 2012 م

المشاهدات : 6588

عندما كان النظام الصهيوني في تل أبيب يقصف أهلنا الأحبة في غزة في مثل هذه الأيام منذ ثلاثة أعوام، كان المصريون تتقدمهم الطليعة الإسلامية يتظاهرون كل جمعة، وطوال الأسبوع كانوا في المدارس والجامعات ينتفضون احتجاجاً على هذه المجازر الوحشية التي ارتقى بها نحو ألف وأربعمائة شهيد..

نذكر في مصر هذه الأيام جيداً، كنا نعاني من نظام هو أحد أسوأ الأنظمة القمعية التسلطية التي عرفتها مصر والمنطقة العربية، مع ذلك لم يحل ذلك دون أن يظهر المصريون عموماً، و"الإسلاميون" خصوصاً لأهلنا المرابطين في الأرض المباركة قدراً من التضامن والتعاطف.. وفي تلك الأثناء، وبرغم حظر التظاهرات وخشية النظام من أن تتحول أي مناسبة لفرصة للثورة ضده إلا أنه لم يتمكن من وأد الشعور الإسلامي الجارف إزاء ما يحصل، ولم يُرِدْ أن يصادم كل هذه الجموع التي بدت متحمسة للتظاهر لاسيما أنه كان يغلق معبر رفح في وجه الجرحى واللاجئين، ومن ثَم فإنه لم ير داعياً لإغلاق الباب في وجه المحتجين، لكنه عمل على "ترشيد" و"ضبط" تظاهراتهم.

كنا في مصر في هذا الوقت، وتحديداً منذ يوم 27/ ديسمبر/ 2008م بداية العدوان وحتى نهايته في يناير التالي ننتفض ـ كغيرنا من سائر الشعوب المسلمة ـ حرقة، ونتفطر ألماً من لوعة ما يحدث لإخواننا الأبطال.. كنا ندرك أن الدم الفلسطيني ليس ماء، ولا "بيبسي كولا" مثلما تهكم الشاعر اللاذع أحمد مطر من قبل في إحدى قصائده؛ فبادرنا إلى أقل ما يمكن أن نقدمه من تضامن إزاء هؤلاء الأشاوس في غزة الذين كانوا أفضل حالاً من إخواننا في سوريا لأنهم كانوا ـ على الأقل ـ يتمترسون بأجنحة عسكرية وأجهزة أمنية مسلحة تستطيع أن تصد الهجوم البري، وتبادل الغزاة النار، وتشتبك معهم برغم قلة العتاد.

الآن، والنظام الصهيوني الحاكم في دمشق يرتكب أكثر مجازره فظاعة، ويزيد من وتيرة عدوانه على الشعب السوري المسلم تزامناً مع وصول شهود الجريمة العرب، ويتجاوز في كل يوم ما كان يرتقي في غزة، وتتآمر على هذا الشعب أنظمة كثيرة في الشرق والغرب، وتخنس فيه الأنظمة العربية خوفاً من إغضاب سيدها الأمريكي، وخشية من استفزاز واستعداء يده

المطلقة في الخليج العربي/إيران؛ أفلا يكون لطليعة الشعب المصري وقفة أخلاقية وكلمة مسموعة وحضور تاريخي وموقف يغسل عار مصر من شهود هذه الجريمة النكراء دون تحريك بنان أو إصدار بيان احتجاجاً على هذا العدوان الوحشي على أبطال الشام ودرع الإسلام وعنوان الفداء؟!

فما الذي يغل أيدينا؟ أهي الفترة الانتقالية التي نريد أن نبدو فيها ملكيين أكثر من الملك؟!

إن شيئاً من إظهار سياستنا الخارجية هو استعلاء بمنهجنا ومكاشفة ووضوح أمام الجميع، بأننا نريد لمصر ألا تكون مصر مبارك، وإنما مصر العزة وشارة العرب وشامة المسلمين، أو لا؛ فلا أقل من أنها مصر التي تحترم حقوق الإنسان ـأي إنسانـ إن لم يكن عربياً أو مسلماً، وتأنف من رؤية الدم الطاهر يسفك بلا جريرة، وتستنكف أن ترى في لحظة الضعف والهوان وشهادة الزور..

وما الذي يكبل مواقفنا؟ أهي الرغبة في عدم "إحراج" حماس؟!

نعم، هي الحركة محشورة الآن في زاوية ضيقة صعبة، لكن ذلك لا يعني أن تنحشر كل حاضنتها ومرجعيتها الدولية في مساحة غزة الصغيرة ـمع تقديرنا الكامل لأهلهاـ، إن أكثر من ثلاثين مليوناً يعانون الأمرين في سوريا، ويكتم ملايين غيرهم أنفاسهم في لبنان خشية الفتك بهم، ويتطلع عشرات الملايين غيرهم في العراق وحتى الأقلية المضطهدة في إيران، والعديد من البلدان للمشهد في سوريا أملاً في الفكاك من هذا الإخطبوط/ المحور العدواني الرهيب؛ فأين تتموضع طليعة مصر الجديدة في هذه الخريطة التي يعاد رسمها بإرادة شعبية فولاذية سيحكيها التاريخ يوماً ويغض الطرف عنكم.

ولا يظنن ظان أبداً أن القيم والأخلاق يمكن أن تتجزأ، وأن الأولويات يمكن أن تُرحّل، وأن التاريخ سيرحم؛ فمصر تعيش لحظة يمكنها فيها أن تشهد مليونيات بلا استئذان وبلا حسابات كثيرة ويقف عشرات الآلاف حول السفارة الصهيونية لحكام دمشق بالقاهرة مثلما وقفت الآلاف من قبل حول السفارة الصهيونية لتل أبيب، ليعلم العالم كله، الذي يساند الطغمة الحاكمة في سوريا أن لأهلنا رجال هنا في أرض الكنانة لا يرضون بالضيم والهوان ويأبون أن دينهم وكرامتهم وقيمهم وأخلاقهم أن يمس السوريون بأذى وهم يعالجون هنا حسابات وهمية ويستدرجون بعيداً عن مشاكل مصر القومية الرئيسية وأمنها الممتد حتى الشام، وعراقتها وتاريخها المساند لكل الشعوب الحرة في المنطقة العربية والإسلامية، ويعلمون أن موقف النظام الحاكم في مصر الآن من الثورة السورية لا يمثلنا كمصريين نعرف معنى الأخوة الإسلامية والعربية، وندرك كوننا الدولة الشقيقة الكبرى لكل شعب يعيش تحت نير القهر والاستبداد في عالمنا العربي.

إنني أدعو طليعة المصريين اليوم، الذين زكاهم شعبنا الثائر، ومنحهم ثقته، وفوضهم الحديث نيابة عنهم أن يكونوا على قدر المسؤولية، وأن يترفعوا على كل خلاف، ويطرحوا كل حساب، ويهبوا لتخفيف الأذى عن امتداد مصر الطبيعي (أرض الشام)، ويتنادون إلى مليونية حاشدة، تضع القاطرة المصرية على السكة الحقيقية لاستعادة دورها الأخلاقي قبل الإقليمي، وهما صنوان لا يفترقان.

ليقولوا إنكم قد تركتم مشاكل مصر وانشغلتم بـ"الآخرين"، أو أنكم تتاجرون بالآلام.. ليكن، لكن ليفهم الجميع أن اغتصاب مئات الحرائر في سوريا، وسحل آلاف الجثث، وتعذيب عشرات الآلاف ليس أهون عند أحرارنا من نسائنا ورجالنا وأطفالنا..

لتثر في الميدان بجموع هادرة تخرق أصواتها جدار الصمت والتواطؤ وتصل بصداها إلى تحت عرش الطاووس الأسدي، وليسبق موقف الشعب المصري مواقف الساسة ووفودهم ولجانهم الهزيلة.

المصدر: موقع المسلم (نقلاً عن صحيفة "المصريون")

المصادر: